الخطبة السادسة عشر
تفسير آية الكرسي

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد:

فإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

إخوة الإيمان:

إن آية الكرسي هي أعظم آية في القرآن الكريم.

وذلك للحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ**

أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ قَالَ: قُلْتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ»[(١)].

سؤال: وهل القرآن يتفاضل؟

لا يتفاضل باعتبار المتكلِّم به؛ لأن المتكلِّم به هو الله سبحانه وتعالى، ولكن يتفاضل باعتبار موضوعاته ومدلولاته.

فضائل آية الكرسي:

(١) عَنْ أَبِي هريرة رضي الله عنه قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَذَكَرَ الْحَدِيثَ فَقَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ؛ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ وَلا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ ذَاكَ شَيْطَانٌ»[(٢)].

(٢) وعن أبي أمامة رضي الله عنه أنه قال ﷺ: «مَن قرأ آية الكرسي دُبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت»[(٣)].

ولقد اشتملت هذه الآية على عشر جمل:

١- الجملة الأولى: قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾:

﴿ٱللَّهُ﴾: هو الاسم المفرد العلم الدال على كل الأسماء الحسنى والصفات العُلى.

---

(١) مسلم (١٣٤٣)، ومعنى ليهنك العلم: هذه منقبة لأُبي أنَّ عِلْمَه كثير.

(٢) البخاري (٣٠٣٣).

(٣) صحيح: الطبراني في المعجم الكبير (٧٤٠٨)، و صحَّحه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٦٤٦٤).

وهو الاسم الذي ما ذُكِر في قليل إلا كثَّره، ولا عند خوف إلا أزاله، ولا عند كرب إلا كشفه، ولا عند همٍّ ولا غمٍّ إلا فرَّجه، ولا عند ضيق إلا وسَّعه.

وهو الاسم الذي تكشف به الكُربات، وتُقَال به العَثَرات، وتستنزل به البركات، وتجاب به الدعوات، وتدفع به السيئات، وتستجلب به الحسنات، وهو الاسم الذي قامت به الأرض والسموات.

وبه أُنزلت الكتب، وبه أُرسلت الرُّسُل، وبه شرعت الشرائع، وبه قامت الحدود وبه شرع الجهاد، وبه انقسمت الخليقة إلى السعداء والأشقياء، وبه حُقَّت الحاقة، ووقعت الواقعة، وبه نصب الصراط، وبه قام سُوق الجنة والنار، وبه عُبِد رب العالمين وحُمد.

قال ابن القيم: الإله بمعنى المألوه، أي: المعبود حبًّا وتعظيمًا.

قد يقول قائل: لقد ثبتت الألوهية لغير الله؛ قال تعالى: ﴿ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ ﴾ [هود: ١٠١].

الجواب: أنها ألوهية ناقصة؛ لأن الله قال: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [الحج: ٦٢].

وكذلك هي ألوهية ليس فيها تعظيم للمألُوه ولا حُب له، فتجد الواحد منهم مثلاً يصنع إلهاً من الحلوى، فإذا جَاع أكله، وإذا خسروا في تجارة أو انهزموا في معركة يرجعون فيسبُّون آلهتهم، إذن فليس فيها تعظيمٌ لهم ولا حبٌّ لهم.

قوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ هنا محذوف تقديره: أي لا معبود حق إلا الله. ولقد اشتملت هذه الجملة على نفي وإثبات.

قال العلماء: إن النفي المحض (أي: لا إله) ليس توحيدًا، والإثبات المحض (أي: إلا الله) ليس توحيدًا، فلا بد أن تنفي وتثبت فتقول: لا إله إلا الله.

لأن النفي المحض تعطيلٌ محضٌ، والإثبات المحض ينفي مشاركة الغير في الحُكم.

٢- قوله تعالى ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾

اسمان جليلان عظيمان جامعان لكمال الأوصاف والأفعال؛ فكمال الأوصاف في الحي، وكمال الأفعال في القيوم.

و(ال) هي الدالة على الاستغراق من حيث البقاء ومن حيث الكمال، أي ذو الحياة الكاملة.

أما حياة البشر فهي ناقصة من عدم إلى عدم في الدنيا، وحياته سبحانه لم تسبق بعدم؛ قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

و﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ هو القائم بنفسه القائم على غيره، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣].

قد يقول قائل: كيف ذلك والله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

الجواب: المعنى إن تنصروا دين الله من مجاهدة للنفس والتسلح للأعداء، وإيثار الآخرة وغير ذلك، ينصركم الله على أعدائكم.

٣- قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾

قال القرطبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: النُّعاس هو ما كان في العَين، فإذا صار في القلب صار نوماً.

لماذا لم يقل (لا ينام)؟

قال العلماء: لا ينام بالغلبة ولا بالاختيار.

لماذا؟

لأن النوم صفة نقص؛ ولا ينبغي للإله أن يوصف بصفات النقص.

عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ لا يَنَامُ، وَلا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»[1].

قال العلماء: إن كلمة (لا ينبغي) في القرآن والسُّنة تعني: الشيء الممتنع غاية الامتناع.

قال تعالى في سورة مريم: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم:٩٢].

فكل الخلق في حاجة إلى الله حتى النائم؛ والدليل على ذلك قول النبي ﷺ عند النوم: «إنْ أمسَكت نَفْسِي فَارحَمْهَا، وإنْ أرْسَلْتَهَا فاحفَظْهَا بما تحفظ به عِبَادَكَ الصَّالحين»[2].

وقوله تعالى: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ هذه تسمى عند العلماء بالصفات السلبية، ولا يوجد في صفات الله تعالى صفات سلبية محضة، إنما تذكر لبيان كمال الضدّ كما قال العلماء؛ فذكرت هنا لبيان تمام حياته وقيومته.

والصفات السلبية: هي ما نفاه الله عن نفسه وهي متضمنة لثبوت كمال ضدها.

---

(١) مسلم (٢٦٤).

(٢) البخاري (٥٨٤٥)، مسلم (٤٨٨٩)، واللفظ للبخاري.

٤- قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾

ما: اسم موصول للعموم والشمول، فتشمل الأعيان والأحوال.

قال بعض العلماء: أي تشمل ما في السموات والأرض خَلْقًا ومُلْكًا وتدبيرًا.

قد يقول قائل: السموات سبع فكم تكون الأرض؟

الجواب: سبع أيضًا.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢].

قال العلماء: المثلية هنا هي مثلية العَدَد.

لماذا أُفرِدَت الأرض وجُمِعَت السموات؟

لأن السموات خلقت من أجناس مختلفة، بينما الأرض فخُلِقَت من جنس واحد، وهو التراب.

٥- قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾

هنا استفهام، الغرض منه التحدي.

بدليل الإثبات بعده ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾.

ومتى جاء النفي بصيغة الاستفهام فقد خرج مخرج التحدِّي.

ما شروط الشفاعة؟

(١) إذنَ الله فيها.

(٢) رضاه عن الشَّافع.

(٣) رضاه عن المُشَفَّع.

ما الشفاعة لغة واصطلاحًا؟

لغةً: اسم مِن شَفعَ يَشْفَعُ إذا جعل الشيء اثنين، والشَّفع ضدُّ الوِتْر، قال تعالى: ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ﴾ [الفجر: ٣].

اصطلاحًا: التوسط للغير لجلب منفعة أو دفع مضرة.

فمثلاً: شفاعةُ النبيِّ ﷺ لأهل الموقف لدفع المَضَرَّة، وشفاعته لأهل الجنة لجلب منفعة لهم.

الآيات التي أثبتت الشفاعة:

هذه الآية – أي آية الكرسي – وقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر: ٤٤].

وغيرهما من الآيات التي أثبتت الشفاعة.

وهناك آيات نفت الشفاعة:

من ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٠].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

وغير ذلك من الآيات التي فيها نفي الشفاعة

والجمع بين الآيات التي أثبتت والتي نفت كما يلي[١]:

---

(١) وقد نفت المعتزلة والخوارج الشفاعة، وجعلوا صاحب الكبيرة مخلدًا في نار جهنم احتجاجاً بالآيات التي يظهر منها نفي الشفاعة، ولم يجمعوا بينها وبين آيات إثبات الشفاعة، كما فعل أهل السُّنة الذين هُم دائماً وسط في كل شيء، فهُم وسط بين الغلو والتفريط، وهنا جعلوا – أي أهل السُّنة – صاحب الكبيرة تحت مشيئة الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء أدخله النار، وإن دخل النار فإنه لا يخلد فيها، وانظر تفصيل ذلك في شروح الطحاوية.

(١) لا بد أن نعلم أن أمر الشفاعة كله موكول إلى الله؛ لقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [سورة الزمر: ٤٤].

(٢) أنه لا شفاعة في الكافرين:

قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨].

وعَنْ أَبِي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لا تَعْصِنِي؟! فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لا أَعْصِيكَ. فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الأَبْعَدِ؟ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ. ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ»[(١)].

ولكن يستثنى من ذلك شفاعة النبي ﷺ في عمِّه أبي طالب[(٢)].

(٣) أن الشافع لا يشفع إلا بإذن الله؛ قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة آية: ١٥٥].

(٤) أن الشافع لا يشفع إلا فيمن ارتضاه الله قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

(٥) أن الأصنام والشمس والقمر وسائر المعبودات لا تشفع لعابديها.

قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس:١٨].

---

(١) البخاري (٣١٠١) ومعنى ذيخ: ذكر الضِّباع.

(٢) البخاري (٣٥٩٤)، مسلم (٣٠٨) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ يَغْلِي مِنْهُ أُمُّ دِمَاغِهِ» والضحضاح: موضع لا عمق له.

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾ [فاطر:١٣، ١٤].

أقسام الشفاعات:

قسَّم العلماء الشفاعة ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الشفاعات في الآخرة: وهي التي يشفعها المصطفى ﷺ والنبيون والصالحون والشهداء وشفاعة الجبار وغيرها.

القسم الثاني: شفاعة قوم أحياء لقوم قد ماتوا: كشفاعة الأبناء لآبائهم الذين ماتوا، كما جاء عند أحمد بسند حسن عَنْ أَبِي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَّى لِي هَذِهِ؟. فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ» (١).

القسم الثالث: الشفاعات التي بين أهل الدنيا في دنياهم:

وهذه منها ما هو مشروع، كما قال تعالى: ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا﴾ [النساء:٨٥].

كما جاء عند البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ مُغِيثًا كَانَ عَبْدًا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ اشْفَعْ لِي إِلَيْهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يا بَرِيرَةُ اتَّقِي اللهَ؛ فَإِنَّهُ زَوْجُكِ وَأَبُو وَلَدِكِ». فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتَأْمُرُنِي بِذَلِكَ؟ قَالَ: «لا إِنَّمَا أَنَا شَافِعٌ»، فَكَانَ دُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى خَدِّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلْعَبَّاسِ: «أَلا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ وَبُغْضِهَا إِيَّاهُ؟» (٢).

---

(١) صحيح: أحمد (١٠٢٠٢)، وقد سبق، وهو صحيح.

(٢) صحيح: أبو داود (٩٠٤) والدارمي (٢١٩٠)، وصحَّحه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح (٣١٩٩).

وكقوله ﷺ: «اشفعوا تُؤْجَروا»[١].

ومنها ما هو محرَّم، كالشفاعة عند السلطان لإسقاط واجب كما في حديث عَائِشَةَ أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إلا أُسَامَةُ حِبُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ؟» ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»[٢].

ومن هذا القسم المحرَّم أيضـًا إعطاء حق شخص لآخر عن طريق ما يعرف بالرِّشوة؛ فعَنْ أَبِي هريرة رضي الله عنه قَالَ: (لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِي)[٣] أو أي طريق أخرى غير الرشوة من طرق أكل أموال الناس بالباطل.

كيف تنال الشفاعة؟

(١) قراءة القرآن والعمل به:

- وذلك لما روي عن أَبُي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ؛ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ؛ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ»[٤].

---

(١) البخاري (١٣٤٣).

(٢) البخاري (٦٢٩٠٩)، مسلم (٣١٩٦).

(٣) صحيح: الترمذي (١٢٥٦) وأبو داود (٣١٠٩)، وصحَّحه الشيخ الألباني في المشكاة (٣٧٥٣).

(٤) مسلم (١٣٣٧).

قال الخازن: قال أهل اللغة: الغمامة والغياية: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة وغَبَرة وغيرهما.

والمراد أن ثوابهما يأتي كغمامتين (١).

ومعنى فرقان: جماعتان أو قطيعان.

وطير صواف: طير يبسط أجنحته.

والبطلة: السَّحَرة.

(٢) سُكنى مدينة رسول الله ﷺ:

وذلك للحديث عَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَوْلَى الْمَهْرِيِّ أَنَّهُ جَاءَ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رضي الله عنه لَيَالِيَ الْحَرَّةِ فَاسْتَشَارَهُ فِي الْجَلاءِ مِنَ الْمَدِينَةِ وَشَكَا إِلَيْهِ أَسْعَارَهَا وَكَثْرَةَ عِيَالِهِ، وَأَخْبَرَهُ أَنْ لا صَبْرَ لَهُ عَلَى جَهْدِ الْمَدِينَةِ وَلأْوَائِهَا فَقَالَ لَهُ: وَيْحَكَ لا آمُرُكَ بِذَلِكَ؛ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لا يَصْبِرُ أَحَدٌ عَلَى لأْوَائِهَا فَيَمُوتَ إِلا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا كَانَ مُسْلِمًا»(٢).

(٣) الصلاة على النبي محمد ﷺ وطلب الوسيلة له بعد تكريره لِمَا يقوله المؤذن:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما أَنَّهُ سَمِعَ النبي ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِي الْوَسِيلَةَ؛ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لا تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»(٣).

---

(١) تفسير الخازن (١/ ٢٥)، دار الفكر.

(٢) مسلم (٢٤٤١).

(٣) مسلم(٥٧٧).

(٤) الصلاة على الأموات:

وذلك لقوله ﷺ: «ما من مُسْلِمٍ يصَلِّي عليْه أُمةٌ إلا شفِّعوا»[١] وكان أبو المليح يقول: الأمة: الأربعون فصاعدًا»[٢].

ما الذي يَحْرِم الإنسان من الشفاعة؟

يُحْرَم الإنسان من الشفاعة يكون بكثرة اللعن؛ وذلك للحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث عَنْ أَبِي الدَّرْدَاء رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّعَّانِينَ لا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ وَلا شُفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٣].

لكن هل يتعارض هذا الحديث مع قوله ﷺ في المتبرجة: «العنوهن؛ فإنهن ملعونات»[٤] وغيره؟

الجواب: لا؛ لأنه يجوز لعن العُصَاة عامَّة؛ لقوله ﷺ في المتبرجات: «العنوهنَّ فإنهنَّ ملعونات».

ولكن لا يجوز لعن العاصي المُعَيَّن؛ لأنه ﷺ زجر الرجل لما لَعَنَ شارب الخمر وقال: «لا تكونوا أعوانًا للشيطان على أخيكم»[٥].

ومع جواز ذلك، لا ينبغي للإنسان أن يكثر من اللعن؛ للحديث السابق، وقوله ﷺ: «لا ينبغي لِصِدِّيقٍ أن يكون لعَّانًا»[٦].

---

(١) صحيح: المعجم الكبير للطبراني (١٠٦٠) والبيهقي في «شُعَب الإيمان» (٩٢٥٠)، وحسَّنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٦٢).

(٢) صحيح: المعجم الكبير للطبراني (١٠٦٠).

(٣) مسلم (٤٧٠٣).

(٤) صحيح: أحمد (٦٧٨٦)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٢٦٨٢).

(٥) صحيح: أحمد (٣٩٥٥)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٧٩).

(٦) مسلم (٤٧٠١).

وقوله ﷺ: «لَعْنُ المؤمن كقتله»(١) وغيرهما .

هل يجوز لعن الكفار عامة؟ وهل يجوز لعن الكافر المعين؟

الجواب: يجوز لعن الكفار عامة باتفاق العلماء، قال تعالى: ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٨٩].

وقال تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨] .

ولكن لا يجوز لعن الكافر المعين على الراجح؛ لأنه لما همّ النبي ﷺ أن يدعو على أقوام معينين أنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨] .

قال ابن العربي: ودعَا النبيُّ ﷺ علي مَن تحزَّب علي المؤمنين وألَّب عليهم، وكان هذا أصلاً في الدعاء علي الكفار في الجملة، فأما الكافر المعين الذي لم تعلم خاتمته فلا يدعي عليه ؛ لأن مآله عندنا مجهول، وربما كان عند الله معلوم الخاتمة للسعادة، وإنما خص النبي ﷺ الدعاء علي عتبة وشيبة وأصحابه؛ لعلمه بمآلهم وما كشف له من الغطاء عن حالهم والله أعلم (٢).

٦- قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾

العلم: هو إدراك الشيء على حقيقته إدراكًا جازمًا، فعدم الإدراك جهلٌ، والإدراك على وجه لا جزم فيه شكٌّ، والإدراك على وجه جازم غير مطابق جهلٌ مركّبٌ .

فلو سُئِلت: متى كانت غزوة بدر ؟

فقلتَ: لا أدري، فهذا جهلٌ.

---

(١) البخاري (٥٦٤٠) ومسلم (١٦٠) .

(٢) الأحكام لابن العربي (٤/ ٣١٢)، دار الكتب العلمية .

ولو سُئِلت: متى كانت غزوة بدر ؟

فقلتَ: إما في الثانية أو في الثالثة، فهذا شكٌّ.

ولو سُئِلت: متى كانت غزوة بدر ؟

فقلتَ: في السنة الخامسة، فهذا جهل مُركَّب.

والله -عز وجل- يعلم الأشياء عِلماً تامًّا شاملاً بها جملة وتفصيلاً، وعلمه ليس كعلم العباد، ولذلك قال: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾.

و﴿مَا﴾ من صيغ العموم والشمول، فهي شاملة لكل شيء سواءً كان دقيقاً أم جليلاً، وسواءً كان من أفعال الله أو من أفعال العباد.

و﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: المستقبل.

﴿خَلْفَهُمْ﴾ أي: الماضي.

وعِلْمُه من بين أيديهم يقتضى أن لا يجهل المستقبل، وعلمه لما خلفهم يقتضى أنه لا ينسى الماضي، ولهذا لما قال فرعون لموسى: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾ ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ يعني: لا يضل في المستقبل ولا يجهل -عز وجل-، ولا ينسى الماضي.

٧- قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾

قال القرطبي -رحمه الله-[1]: العلم هنا بمعنى المعلوم، أي: لا يحيطون بشيء من معلوماته، وهذا لقول الخضر لموسى عليه السلام حين نقر العصفور البحر: ما عِلْمي وعِلْمَك مِن عِلْم الله إلا كما نقص هذا العصفور من هذا البحر[2].

---

(١) تفسير القرطبي (٣/ ٢٧٦)، دار الكتب العلمية بالرياض.

(٢) البخاري (١١٩)، مسلم (٤٣٨٥).

ومعنى الآية: أي لا يستطيع أحدٌ أن يقف على شيء من عِلْمِ الله -عز وجل- إلا إذا شاء الله أن يُعلِمه، ويتبين هنا كمال علم الله ونقص علم المخلوقين.

فما شاء الله أن يُعْلِمه الخَلْق أعلمهم إيَّاه، سواء كان ذلك فيما يتعلق بذاته، أو أسمائه أو صفاته أو أفعاله أو مخلوقاته.

٨- قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾

العرش: هو أولُ شيء خُلِقَ.

إنَّ العرش هو أول شيء خُلِقَ من الأشياء المعلومة وليس القلم.

وذلك للحديث الذي أخرجه أبو داود قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رضي الله عنه لابنه: يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ». يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي»[(١)].

قال المباركفوري: إنَّ أوَّل مَا خَلَقَ اللهُ القَلَم، أي بعد العَرش والمَاء والسموات والأرض بخمسين ألف سنة.

وسُئِلَ ابنُ عباس رضي الله عنهما عن قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ على أي شيء كان الماء؟ قال: على متن الريح[(٢)].

---

(١) صحيح: الترمذي (٢٠٨١) وأبو داود (٤٠٧٨)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠١٧).

(٢) تحفة الأحوذي (٦/ ٣٦٩)، دار الفكر.

ما الفرق بين العرش والكرسي؟

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره إلا الله[(١)]، فالعرش أوسع أو أعظم أو أبلغ إحاطة من الكرسي.

والدليل على ذلك الحديث الذي صحَّحه الشيخ الألباني أنه ﷺ قال: «ما السموات السبع والأرضون إلا كحَلَقَة في فَلاةٍ من الأرض، وإنَّ فضل العَرْش على الكرسي كفضل الفَلاةِ على تلك الحَلَقَة»[(٢)].

وهذا يدل على سعة هذه المخلوقات العظيمة التي هي بالنسبة لنا من عالم الغيب، ولهذا يقول الله -عز وجل-: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ [ق: ٦].

وقد علَّق الشيخ الألباني -رحمه الله- على هذا الحديث في «السلسلة الصحيحة» فقال: ولا يصح في صفة الكرسي غير هذا الحديث، وأنه أعظم المخلوقات بعد العرش، وأنه جرم قائم بنفسه، وليس شيئًا معنويًا كما يظن البعض[(٣)].

وإذا كان الكرسي قد وسع السموات والأرض فهو دليل على أنه مُكَوَّر.

أما العرش فقد جاء عن النبي ﷺ أن عرشه على السموات كالقُبَّة، والقبة غير مكورة وهي غير مسطحة أيضًا كقبة الخيمة يكون وسطها مرتفعًا.

واعلم أخي الحبيب أن الله عز وجل على عرشه وليس سبحانه في حاجة إلى العرش، فلا العرش يحمله، ولا الكرسي يسنده، بل العرش وحملته والكرسي وعظمته الكل محمول بلطف قدرته، مقهور بجلال قبضته.

---

(١) صحيح: أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥٨٢)، دار العاصمة وغيره، وصحَّحه الشيخ الألباني في «مختصر العلو» (١/ ٧٥) المكتب الإسلامي.

(٢) صحيح: ابن أبي شيبة في «العرش» (١/ ٣٤) مكتبة الرشد بالرياض، وصحَّحه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٠٩).

(٣) صحيح: صحَّحه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٠٩).

٩- قوله تعالى: ﴿وَلَا يَئُودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾

أي: يُثقله ويشق عليه، يقال: آدَنِي الشيءُ بمعنى أثقَلَني.

﴿حِفْظُهُمَا﴾ أي: حفظ السموات والأرض، وهذه الصفة صفة سلبية.

ما الذي يتطلبه الحفظ حتى نعرف أن هذا النفي لكمال ذلك الشيء الذي يستلزم الحفظ فالواجب أن يتطلب الحياة والعلم والقدرة والقوة والرحمة ويمكن صفات أخرى.

فالمهم أن هذا النفي يتضمن كمال عِلْم الله وقُدرته ورحمته وما إلى ذلك من الصفات التي يستلزمها حِفْظُه سبحانه وتعالى.

١٠- قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ ويتعلق بهذه الجملة عدة مسائل:

المسألة الأولى: منهج السلف الصالح في أسماء الله وصفاته:

اعلم أخي - بارك الله فيك - أن منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة المتبوعين والعلماء العاملين هو إثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من الصفات والأسماء على الوجه اللائق به سبحانه، ونفي ما نفَاه الله عن نفسه أو نفَاه عنه رسوله، والسكوت عمَّا سكت الله عنه ورسوله، فالكلام في الصفات فرعٌ من الكلام في الذات، فكما نثبت لله سبحانه صفة الوجود الحقيقي الذي لا يماثله وجود أي مخلوق، كذلك نثبت له باقي الصفات، وأنها تختلف عن صفات المخلوقين[(١)].

---

(١) وللرجوع في هذا الموضوع عليك بهذه الكتب: «الفقه الأكبر» للإمام أبي حنيفة في باب كلامه عن الصفات، و«العقيدة الطحاوية» للإمام الطحاوي وشرحها أبو العز الحنفي، و«الفتوى الحموية الكبرى»، و«العقيدة الواسطية»، و«درء تعارض العقل والنقل» ثلاثتهم لابن تيمية، و«شرح الواسطية» للشيخ ابن عثيمين، وغيره، و«شرح الحموية» لكل من الشيخ التويجري والشيخ المصلح، و«اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي، و«تسهيل العقيدة» للشيخ ابن جبرين، و«الاعتقاد» للبيهقي، وغير ذلك من الكتب التي لا تحصى التي لا يتسع المجال لذكرها، والتي تثبت عقيدة أهل السنة في الأسماء و الصفات وهي إثباتها على الوجه اللائق به سبحانه.

قال الإمام أبو حنيفة: وله يد ووجه ونفس كما ذكر الله تعالى في القرآن، فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف، ولا يقال: إن يده قدرته أو نعمته؛ لأن فيه إبطال الصفة، وهو قول أهل القدر والاعتزال، ولكن يده صفته بلا كيف معلوم لنا، وغضبه ورضاه صفتان من صفات الله تعالى بلا كيف [1].

قال البيهقي: سُئِلَ الأوزاعي ومالك وسفيان الثوري والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي جاءت في التشبيه فقالوا: أمروها كما جاءت بلا كيفية [2].

قلت: مقصودهم: إثباتها على حقيقتها على الوجه اللائق بالله، وترك الكيفية له سبحانه.

قال الشافعي: نثبت هذه الصفات التي جاء بها القرآن ووردت بها السنة، وننفي التشبيه عنه كما نفى عن نفسه، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١] [3].

قال الإمام أحمد: لا يُوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو بما وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث [4].

قال ابن تيمية: فكما يتيقن أن الله سبحانه له ذات حقيقية، وله أفعال حقيقية، فكذلك له صفات حقيقية، وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وكل ما أوجب نقصًا أو حدوثًا فإن الله منزَّهٌ عنه حقيقة، فإنه سبحانه مستحقٌ للكمال الذي لا غاية فوقه [5].

---

(١) اعتقاد الأئمة الأربعة صـ ١٠، للشيخ: محمد الخميس، دار العاصمة.
(٢) الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٣٧٧) دار السوادي.
(٣) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٤٣١).
(٤) الفتوى الحموية الكبري صـ ٢٦٥، دار الصميعي.
(٥) السابق صـ ٢٦٦.

المسألة الثانية: القلق والحيرة التي يعيش فيها مَن حَادَ عن هذا المنهج السابق (وهُم أصحابُ الكلام):

اعلم أخي أن هذا المنهج - أي إثبات الصفات على حقيقتها على الوجه اللائق بالله - هو المنهج الحق؛ فقد قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قال الطبري: الإلحاد هو العدول عن القصد، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

وأمَّا مَن حَادَ عن هذا المنهج فإنه يُصَاب بالحَيْرة والقَلَق.

قال شمس الدين الخسروشاهي - وكان من تلامذة الرازي - لبعض الفضلاء وقد دخل عليه يوماً فقال له: ما تعتقده؟ قال: ما يعتقده المسلمون. فقال: وأنتَ مُنْشَرِحُ الصدر لذلك مستيقن به؟ فقال: نعم. فقال: اشكر الله على هذه النعمة، لكني والله ما أدري ما أعتقده، والله ما أدري ما أعتقده، والله ما أدري ما أعتقده. وبكى حتى أخْضَل لحيته[1].

قلت: وقد حاد عن منهج أهل السنة في الصفات، وهو يغبط الذي يعتنق هذا المنهج السابق في الإثبات.

وقد جاء عن أحدهم - أي أحد أهل الكلام الذين لم يتبعوا منهج السلف في الأسماء الصفات - أنه قال: أضْطَّجع على فِراشي وأضع الملحفة على وجهي وأُقَابل بين حُجَج هؤلاء وهؤلاء حتى يطلع الفجر، ولم يترجَّح عندي منها شيء[2].

---

(١) شرح الفتوى الحموية للتويجري (١٩٣) دار الصميعي.

(٢) السابق.

وقد جاء عن إمام الحرمين الجويني أنه: -بعد أن ضيَّع عمرًا طويلاً في علم الكلام- قال: والآن فقد رجعت إلى كلمة الحق، عليكم بدين العجائز، فإن لم يدركني الحق بلطيف برِّه، فأموت على دين العجائز، ويختم عاقبة أمري عند الرحيل على كلمة الاخلاص: لا إله إلا الله، فالويل لابن الجويني.

وقال أيضًا: يا أصحابنا، لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفتُ أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلتُ به.

وحُكي عنه أنه قال عند مرضه: اشهدوا علي أني قد رجعت عن كل مقالة تخالف السنة، وأني أموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور[١].

قلت -محمد-: ودين العجائز[٢] هو منهج السَّلف.

ومثل هذا حدث مع الرازي وابن فورك وغيرهما[٣].

وقال الغزالي: أكثر الناس شكًّا عند الموت أصحاب الكلام[٤].

قلت: وهذا غيض من فيض، وإلا فالأمثلة كثيرة، ولو ذكرناها كلها لاتسع المقال ولضاق المقام، ولعل في هذا القدر الكفاية والغنية.

المسألة الثالثة: هل أسماء الله توقيفية أم اجتهادية؟

أسماء الله تعالى توقيفية أي لا يجوز لنا أن نثبت أسماءً لله لم يسم نفسه بها، كأن نقول مثلاً: يا ماكر، ولكن يجوز أن نقول: يا خير الماكرين.

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٧٤)، دار الرسالة.

(٢) دين العجائز: أرادوا بكلمة العجائز من كان عَرِيًا عن آلات الجدل والبحث من المسلمين، ولا يقصد بالعجائز أشخاص معينون، وأن المعنى: أن الإنسان لو كان عاميًّا في عقيدته، من حيث عدم تزلزل عقيدته، وعدم قبوله المناقشة فيها مشبَّهًا بالعجائز الذين يشعرون أن هذا هو الذي لا محيد عنه، وهذا المطلوب من المسلم أن يكون ملتزمًا بعقيدته متمسكًا بها.

(٣) شرح الحموية من ١٩١ إلى ١٩٥.

(٤) السابق.

قال ابن حجر في الفتح: وقال القاضي أبو بكر والغزالي: الأسماء توقيفية دون الصفات قال: وهذا هو المختار، واحتج الغزالي بالاتفاق على أنه لا يجوز لنا أن نسمِّي رسول الله ﷺ باسم لم يسمِّه به أبوه ولا سمَّى به نفسه، وكذا كل كبير من الخَلْق.

قال: فإذا امتنع ذلك في حق المخلوقين فامتناعه في حق الله أَوْلَى، واتفقوا على أنه لا يجوز أن يطلق عليه اسم ولا صفة توهم نقصاً.

ولو ورد ذلك نصاً فلا يقال: ماهد ولا زارع ولا فالق ولا نحو ذلك وإن ثبت في قوله ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾﴾ ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ﴾ ونحوها ولا يقال له: ماكر ولا بنَّاء وإن ورد ﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا﴾.

وقال أبو القاسم القشيري: الأسماء تؤخذ توقيفاً من الكتاب والسنة والإجماع، فكل اسم ورد فيها وجب إطلاقه في وصفه، وما لم يرد لا يجوز ولو صحَّ معناه[1].

المسألة الرابعة: هل أسماء الله محصورة في التسعة والتسعين فقط التي وردت في حديث الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة»؟

الجواب: لا ليست محصورة في هذا العدد، بل تزيد على ذلك.

قال ابن حجر: وقد اختلف في هذا العدد، هل المراد به حصر الأسماء الحسنى في هذه العدة أو أنها أكثر من ذلك ولكن اختصت هذه بأن من أحصاها دخل الجنة؟

---

(١) فتح الباري (١١/ ٢٢٣)، دار الفكر.

فذهب الجمهور إلى الثاني، ونقل النووي اتفاق العلماء عليه فقال: ليس في الحديث حصر أسماء الله تعالى، وليس معناه أنه ليس له اسم غير هذه التسعة والتسعين، وإنما مقصود الحديث أن هذه الأسماء من أحصاها دخل الجنة فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء.

ويؤيده قوله ﷺ في حديث ابن مسعود الذي أخرجه أحمد وصحَّحه ابن حبان: «**أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك**».

قال الخطابي: في هذا الحديث إثبات هذه الأسماء المخصوصة بهذا العدد، وليس فيه منع ما عداها من الزيادة، وإنما التخصيص لكونها أكثر الأسماء وأبينها معاني، وخبر المبتدأ في الحديث هو قوله: «**من أحصاها**» لا قوله «**لله**» وهو كقولك: لزيد ألف درهم أعدَّها للصدقة أو لعمرو مائة ثوب مَن زاره ألبسه إياها.

وقال القرطبي في «المفهم» نحو ذلك[1].

قلت: لزيد ألف درهم أعدَّها للصدقة، فهل معنى ذلك أنه ليس عنده غير هذه الدراهم؟! وكذلك قولك: لعمرو مائة ثوب، هل ليس عنده غيرها ؟!

المسألة الخامسة: ما معنى (مَن أحصاها) ؟

قال ابن القيم في بدائع الفوائد:

مراتب إحصاء أسمائه التي مَن أحصاها دخل الجنة، وهذا هو قطب السعادة ومدار النجاة والفلاح:

---

(١) السابق (١١/ ٢٢٠).

المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها.

المرتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها.

المرتبة الثالثة: دعاؤه بها؛ كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وهو مرتبتان:

إحداهما: دعاء ثناء وعبادة.

والثاني: دعاء طلب ومسألة فلا يثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وكذلك لا يسأل إلا بها، فلا يقال: يا موجود أو يا شيء أو يا ذات اغفر لي وارحمني، بل يسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضيا لذلك المطلوب فيكون السائل متوسلا إليه بذلك الاسم [١].

قلت: فمثلا يدعو الله أن يتوب عليه، فيقول: يا توّاب تُب عليّ، ويا غفور اغفر لي، ويا رزّاق، وهكذا.

المسألة السادسة: ما معنى قوله تعالى ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾؟

الإجابة هي في المسألة السابقة، وكذلك قول الإمام القرطبي الآتي ذكره:

قال القرطبي في التفسير: ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ أي اطلبوا منه بأسمائه، فيطلب بكل اسم ما يليق به، تقول: يا رحيم ارحمني، يا حكيم احكم لي، يا رازق ارزقني، يا هادي اهدني، يا فتاح افتح لي، يا تواب تب علي، هكذا.

فإن دعوتَ باسمٍ عَامٍّ قلتَ: يا مالك ارحمني، يا عزيز احكم لي، يا لطيف ارزقني. وإن دعوتَ بالأعمِّ الأعظم فقلتَ: يا ألله، فهو متضمن لكل اسم، ولا تقلْ: يا رزاق اهدني، إلا أن تريد يا رزاق ارزقني الخير.

---

(١) بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٢٨٨، ١٨٩)، دار: عالم الفوائد.

قال ابن العربي: وهكذا، رتِّب دعاءَك تكنْ من المُخْلِصين [١].

لأنه حينما يكون الاسم موافقاً للمسألة يستجيب الله -عز وجل-، فمثلاً إذا أردتَ الرزق. قُلْ: ارزقني يا رزّاق، كما قال عيسى عليه السلام: ﴿وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [المائدة: ١١٤].

وإذا أردتَ مغفرة الذَّنب. قُل: اغفر لي يا غفار، كما قال موسى عليه السلام: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

وإذا أردتَ الشفاء. قُل: اشف أنت الشافي، كما قال محمد ﷺ: «اشفِ أنت الشَّافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سُقَمًا» .

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفَى، وصلاةً وسلاماً على الهادي البشير المصطفى ﷺ، صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدِّين.

أما بعد:

المسألة السابعة، قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾

العلوّ عند السَّلف يُحمل على ثلاثة معانٍ:

الأول:علوّ الذَّات، ويدل عليه اسمه سبحانه (العلي).

الثاني:علوّ الشأن، ويدل عليه اسمه سبحانه (الأعلى) .

الثالث:علوّ القهر، ويدل عليه اسمه سبحانه (المتعال).

ومنهج أهل السُّنة والجماعة إثباتُ العلوِّ لله بأنواعه الثلاثة .

---

(١) تفسير القرطبي (٤/ ١٨٠).

أدلة علوّ الله على عرشه (أي علوّ الذات)

أدلة الكتاب:

لقد امتلء كتاب الله تعالى بالأدلة التي تدل على استوائه سبحانه على عرشه استواءً يليق بجلاله وكماله وفوقيته على كل الخلائق.

قال صاحب الفتوى الحموية: فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وسُنة رسوله ﷺ من أولها إلى آخرها، ثم عامّة كلام الصحابة والتابعين، ثم كلام سائر الأُمة، مملوء بأن الله سبحانه فوق كل شيء، وعليٌّ على كل شيء، وأنه فوق العرش، وأنه فوق السماء.

مثل:

(١) قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

(٢) وقوله: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

(٣) وقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك ١٦: ١٧].

قلت: وحرف الجر (في) بمعنى: على؛ كما قال تعالى: ﴿فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي على الأرض، لأن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض.

(٤) وقوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨].

(٥) وقوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤].

(٦) وقوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥].

(٧) وقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

(٨) وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الفرقان:٥٩].

(٩) وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

(١٠) وقوله ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧].

(١١) وقوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٢].

(١٢) وقوله: ﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ [الأنعام:١٤٤].

إلى أمثال ذلك مما لا يكاد يحصى إلا بكلفة [١].

أدلة السنة على إثبات الفوقية لله:

وقال أيضاً [٢]: (وَفِي الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ وَالْحِسَانِ مَا لا يُحْصَى إلاَّ بِالْكُلْفَةِ مِثْلَ:

(١) قِصَّةِ مِعْرَاجِ الرَّسُولِ ﷺ إِلَى رَبِّهِ [٣].

(٢) وَنُزُولِ الْمَلائِكَةِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَصُعُودِهَا إِلَيْهِ وَقَوْلِهِ ﷺ فِي الْمَلائِكَةِ الَّذِينَ يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ: «فَيَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ إِلَى رَبِّهِمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ» [٤].

(٣) وَفِي الصَّحِيحِ فِي حَدِيثِ الْخَوَارِجِ: «أَلا تَأْمَنُونِي، وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً» [٥].

---

(١) الفتوى الحموية (١/ ٢٠٢) دار الصميعي.

(٢) الفتوى الحموية (١/ ٢٠٢).

(٣) البخاري (٢٩٦٨)، مسلم (٢٣٤).

(٤) البخاري (٥٢٢)، مسلم (١٠٠١).

(٥) البخاري (٤٠٠٤)، مسلم (١٧٦٣).

(٤) وَفِي حَدِيثِ الرُّقْيَةِ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو داود وَغَيْرُهُ: «رَبُّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ، اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حَوْبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الْوَجَعِ»[1].

(٥) وحديث الجارية التي قال لها النبي ﷺ: «أين الله؟» قالت: في السماء. قال: «اعتقها؛ فإنها مؤمنة»[2].

قلت: وليست هذه الأحاديث فقط هي التي أثبتت الفوقية، بل هذه نقطة في بحر الأحاديث التي أثبتت الفوقية.

قول الصحابة والتابعين:

عن عبد الرحمن بن غنم قال: سمعتُ عمر بن الخطاب ﷺ يقول: ويلٌ لديَّان الأرض من ديَّان السماء يوم يلقونه، إلَّا مَن أَمَرَ بالعدل فقضى بالحق، ولم يقض على هوى، ولا على قرابة، ولا على رغبة، ولا رهب، وجعل كتاب الله مرآة بين عينيه[3].

عن ابن مسعود ﷺ قال: والعرش فوق الماء، والله عز وجل فوق العرش، ولا يخفى عليه شيء من أعمالكم[4].

---

(١) ضعيف: أبو داود (٣٣٩٤) وأحمد (٢٢٨٢٢)، وضعَّفه الشيخ الألباني في «ضعيف سنن أبي داود» (٣٨٩٢).

(٢) مسلم (٨٣٦).

(٣) صحيح: أحمد في «الزهد» صـ ١٥٥، دار الكتب العلمية، وصحَّحه الشيخ الألباني في «مختصر العلو» صـ ١٠، المكتب الإسلامي.

(٤) صحيح: «التوحيد» ابن خزيمة (٢/ ٨٨٥).
وصحَّحه الشيخ الألباني في «مختصر العلو» صـ ١٠٣.

عن زيد بن أسلم قال: مر ابن عمر براعٍ فقال: هل من جَزَرَة؟ فقال: ليس هاهنا ربها. قال ابن عمر: تقول له: أكلها الذئب. قال: فرفع رأسه إلى السماء وقال: فأين الله؟ فقال ابن عمر: أنا والله أحقُّ أنْ أقولَ: أينَ الله؟.

واشترى الراعي والغنم، فأعتقه وأعطاه الغنم (١).

وعن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه مشَى ليلةً إلى أَمَةٍ له فنالَها. فرأته امرأته فلامته. فجَحَدَها، فقالت: إنْ كنتَ صادقاً فاقرأ القُرآن؛ فإن الجُنُبَ لا يقرأ القرآن. فقال:

شَهِدْتُ بِأنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ... وأنَّ النَّارَ مَثْوَى الكَافِرِينَا

وأنَّ العَرشَ فَوقَ المَاءِ طَافٍ ... وفَوقَ العَرشِ رَبُّ العَالَمِينَا

وَتَحْمِلُه مَلائِكَةٌ كِرَامٌ ... وَأمْلاكُ الإلَهِ مُسَوِّمِينَا

فقالت امرأته: صَدَقَ الله وكَذَبَتْ عيني، وكانت لا تحفظ القرآن (٢).

قال عكرمة في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ ﴾ قال ابن عباس: لم يستطع أن يقول: مِن فوقهم. عَلِمَ أنَّ الله مِن فَوْقِهم (٣).

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: تفكَّروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله؛ فإنَّ بين السموات السبع إلى كرسيه سبعة آلاف سنة، وهو فوق ذلك (٤).

---

(١) صحيح: «المعجم الكبير» للطبراني (١٣٠٥٥)، وصحَّحه الشيخ الألباني في «مختصر العلو» صـ١٢٧، والجزرة: الشاة السمينة.
(٢) السير (١/ ٢٣٨)
(٣) صحيح: «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية» لابن القيم صـ٨٩، دار البيان.
(٤) السابق صـ ٨٨.

عن كعب الأحبار: قال الله -عز وجل- في التوراة: «أنا الله فوق عبادي، وعرشي فوق جميع خَلْقِي، وأنا على عَرْشِي أُدَبِّر أمور عبادي، ولا يخْفَى عليّ شيءٌ في السماء ولا في الأرض»[1].

إلى غير ذلك من أقوال الصحابة والتابعين رضي الله عنهم مما لا نستطيع حصره هنا.

قول الأئمة:

قول أبي حنيفة: انظر كلامه في المسألة الآتية (كفر من أنكر علو الله).

قال الأوزاعي: كنَّا -والتابعون متوافرون- نقول: إن الله -عز وجل- فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السُّنة من صفاته[2].

قال مالك: الله في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو منه شيء[3].

قال الشافعي: القول في السُّنة التي أنَا عليها، ورأيتُ عليها الذين رأيتهم، مثل سفيان ومالك وغيرهما: الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأن الله على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء، وينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء....[4].

قال أحمد: هو على عرشه، ولا يخلو شيء من علمه[5].

قال القرطبي: ولم ينكر أحد من السلف الصالح أن استواءه على عرشه حقيقة، وخُصَّ عَرْشُه بذلك؛ لأنه أعظم مخلوقاته[6].

---

(١) صحيح: «العظمة» لأبي الشيخ صـ ٢٢٦، دار العاصمة، وصحَّحه الشيخ الألباني في «مختصر العلو» صـ ١٢٨.

(٢) صحيح: «اجتماع الجيوش الإسلامية» لابن القيم صـ ٩٦، وصحَّحه الشيخ الألباني في «مختصر العلو» صـ ١٣٧.

(٣) صحيح: السابق صـ ١٠١، وصحَّحه الشيخ الألباني في «مختصر العلو» صـ ١٤٠.

(٤) صحيح: السابق صـ ١٢٢، وصحَّحه الشيخ الألباني في «مختصر العلو» صـ ١٧٦.

(٥) صحيح: السابق صـ ١٥٣، وصحَّحه الشيخ الألباني في «مختصر العلو» صـ ١٨٩.

(٦) السابق صـ ٢٠٩.

وأخيرًا: فهذه بعض أدلة استواء الله على عرشه، وإلا لو جئنا بكل الأدلة لما اتسع المقال ولضاق المقام.

المسألة الثامنة: كفرُ مَن أنكر عُلوَّ الله على عَرْشِه(١).

قال أبو حنيفة: مَن قال: لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض. فقد كفر؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

---

(١) قال الشيخ التويجري شارح الحموية: لكن ينبغي التنبه أن كلام الأئمة في تكفير من خالف في بعض هذه المسائل، أنه من باب التكفير المُطْلَق، وفرْقٌ بين التكفير المُطْلَق، وتكفير الشخص المُعَيَّن، فالتكفير المطلق، مثل الوعيد المطلق، وهذه قاعدة عامة، أن التكفير المطلق، مثل الوعيد المطلق، الله -عز وجل- توعد الذين يأكلون أموال اليتامى بالنار، فلا يجوز أن تقول لإنسان يأكل الربا إنه في النار، ولا يجوز أن تحكم على مسلم قاتل بعينه أنه في النار، ففرق بين التكفير المطلق، والتكفير المعيَّن.
يدل على ذلك أن الأئمة يكفرون ببعض المقالات، لكن يلاحظ أنهم إذا نظروا إلى الشخص المعيَّن، فإنهم لا يحكمون بكفره.
مثل الإمام أحمد،اشتهر عنه أنه قال من قال إن القرآن مخلوق فقد كفر، ومع ذلك يلاحظ أنه يصلي خلف من يقول: القرآن مخلوق، فلو كان يكفِّر هذا الشخص بعينه، ويخرجه من المِلَّة، لما صلَّى خلفه؛ لأن الصلاة خلفه لا تصح، وذلك أن التكفير المعيَّن له شروط وموانع، فقد تنتفي في حق هذا الشخص المعيَّن، إمَّا لتأويل أو لجهل، أو لأمر آخر، وهذا مما يكثر الخطأ فيه، خاصة عند الشباب، يأخذون هذه النصوص العامَّة عن الأئمة، وأحيانًا حتى من الكتاب والسُّنة، ويطبقونها على الأشخاص المعينين، وهذا خلاف المنهج الصحيح.
أنا أسألكم الآن: ما حكم من شك في قدرة الله؟ كافر، ولا شك في ذلك.
ما حكم من شك في اليوم الآخر؟ كافر.
ثبت في صحيح البخاري: «أن رجلا أسرف على نفسه، فلما حضرته الوفاة جمع أبناءه وأوصاهم قال: إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم ذُرُّوني؛ فوالله لئن قدَر الله عليّ ليعذبني عذابا ما عذبه أحدًا من العالمين، فجمعه الله - عز وجل - وأقامه وقال: ما حملك على ذلك؟ قال: مخافتك، فغفر الله له».
يقول شيخ الإسلام: هذا عنده نوعان من أنواع الكفر الأكبر: الشك في قُدرة الله، والشك في اليوم الآخر، ولكن غفر الله له بسبب الجهل، والأمثلة كثيرة.
انظر: «شرح الشيخ حمد بن عبدالمحسن التويجري على الفتوى الحموية الكبرى لشيخ الإسلام» وذلك عندما كان يشرح هذا القول الذي نقله شيخ الإسلام في الفتوى الحموية.

وكذا مَن قال: إنه على العرش ولا أدري العرش في السماء أو في الأرض؟ فهو كافر؛ لأنه أنكر أن يكون الله في السماء؛ لأنه تعالى في أعلى عليين، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل [1].

المسألة التاسعة: الفرق بين العلو والاستواء:

إن الاستواء دليل من أدلة العلو، وبينهما تشابه كبير، ولكن الخلاف بينهما في ناحية الثبوت، فإن الاستواء من المسائل التي ثبتت عن طريق السمع - أي بالأدلة - فقط، ولكن العلو ثبت بالسمع والعقل.

معنى الاستواء في لغة العرب:

أصل الاستواء في اللغة هو الارتفاع والعلو على الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [المؤمنون:٢٢].

وإذا قيد الاستواء فله ثلاثة أضرب:

الأول: وهو المقيد بحرف الجر «إلى» كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ﴾ [البقرة:٢٩]. واستوى فلان إلى السطح وإلى الغُرفَة، وهذا بمعنى: العُلو والارتفاع بإجماع السلف.

الثاني: المقيد بحرف الجر «على» كقوله تعالى: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ [الزخرف: ١٣].

وهذا معناه أيضا: العُلو والارتفاع والاعتدال، بإجماع أهل اللغة.

الثالث: المقرون بالواو التي بمعنى مع التي تعدي الفعل إلى المفعول معه نحو: استوى الماء والخشبة بمعنى سواها.

---

(١) الجيوش الإسلامية صـ ٩٩، وصحَّحه الشيخ الألباني في مختصر العلو صـ ١٣٧.

إلى غير ذلك من الآيات التي فيها حرف الجر (مع)، ولكنه لا يفيد الالتصاق ولا المصاحبة .

المسألة الحادية عشر: وقوله تعالى: ﴿ٱلۡعَظِيمُ﴾

قال العلامة السَّعدي: العظيم هو الجامع لجميع صفات العَظَمَةِ والكبرياء والمجد والبهاء الذي تحبه القلوب وتعظِّمه الأرواح[1].

فإذا كنتَ يا أخي مغرورًا بجاهك فتذكَّر عَظَمَةَ الله عليك!

إذا كنتَ عليًا في نفسك فتذكَّر عُلوّ الله فوقَك، فهو القائل سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ .

إذا دعتك نفسك لظُلْم العِباد فتذكَّر عظمة الله وقدرته وإحاطته بك.

لا تَظْلِمَنَّ إذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا ... فَالظُّلْمُ تَرْجِعُ عُقْبَاهُ إلَى النَّدَمِ
تَنَامُ عَيْنَاكَ وَالمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ ... يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللهِ لَمْ تَنَمِ

❁ ❁ ❁

---

(١) تفسير السعدي صـ٩٧، التوفيقية.